

العلوم العقلية في الغرب الإسلامي وتأثيرها على العالم المسيحي
- مؤلف الطب " التصريف لمن عجز عن التأليف " للزهراوي نموذجاً -
"Rational Sciences in the Islamic West and Their Influence on
the Christian World – Al-Zahrawi's Medical Work
"Al-Tasrif liman 'Ajiza 'an al-Ta'lif as a Case Study"

د. أزرار ليلة¹

جامعة البويرة، مخبر التاريخ والحضارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
l.azrar@univ-bouira.dz

تاريخ الإرسال: 2025 / 09 / 14 ؛ تاريخ القبول: 2025 / 11 / 11 ؛ تاريخ النشر: 2025 / 12 / 15

المخلص:

تتناول هذه الدراسة السيرة الذاتية والعلمية لأبي القاسم الزهراوي، أحد أبرز أطباء الحضارة الإسلامية، والذي يُعدّ مؤسس علم الجراحة الدقيقة في العصور الوسطى، وُلد الزهراوي بمدينة الزهراء بالأندلس عام 936م، ونشأ في بيئة علمية راقية بقرطبة، حيث تلقى علوم الطب والجراحة على يد كبار الأطباء، واشتهر بكتابه الموسوعي "التصريف لمن عجز عن التأليف"، الذي يُعد المرجع الوحيد المؤكد نسبته إليه، وضمّ أكثر من ثلاثين مقالة في الطب العام والجراحة والصيدلة.

هدفت الدراسة لإبراز إسهاماته الأخلاقية والمهنية، لا سيما في وصاياه للطلبة والأطباء، وقد اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، مدعوماً بقراءة نصية نقدية لمصادر الطب الإسلامي، وخلصت إلى أن الزهراوي كان حلقة وصل معرفية بين الطب القديم والحديث، وأوصت بتحقيق كامل لأعماله وترجمتها وإدراجها في المناهج الطبية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الزهراوي؛ العصور الوسطى؛ التصريف لمن عجز عن التأليف؛ المناهج الطبية المعاصرة.

¹ د. أزرار ليلة

Abstract :

This study explores the biographical and scientific contributions of Abulcasis (Abu al-Qasim al-Zahrawi), one of the most prominent physicians of Islamic civilization and widely regarded as the founder of precise surgical practice during the Middle Ages. Born in the city of al-Zahra in al-Andalus in 936 CE, al-Zahrawi was raised in a refined scientific environment in Cordoba, where he studied medicine and surgery under leading scholars of his time. He gained fame for his encyclopedic work *Al-Tasrif Liman 'Ajiza 'An al-Ta'lif* (The Method of Medicine), his only verified surviving text, comprising over thirty treatises on general medicine, surgery, and pharmacology.

The study aims to highlight his ethical and professional contributions, particularly his guidance to students and practitioners.

It adopts a historical-analytical methodology, supported by critical textual readings of classical Islamic medical sources. The findings confirm that al-Zahrawi served as an intellectual bridge between ancient and modern medicine. The study recommends a complete critical edition and translation of his works, as well as their integration into modern medical curricula.

Keywords: Al-Zahrawi, Middle Ages, *Al-Tasrif Liman 'Ajiza 'An al-Ta'lif*, modern medical curricula.

مقدمة:

يُعد أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (936-1013م) أحد أبرز أعلام الطب الإسلامي في العصور الوسطى، وقد رسّخ اسمه في ذاكرة الطب العالمي بوصفه مؤسس علم الجراحة الدقيقة، وأحد الرواد الأوائل الذين أرسوا دعائمها النظرية والتطبيقية على حد سواء، ففي حقبة كانت فيها أوروبا غارقة في ظلمات العصور الوسطى، حيث كانت مهنة الجراحة تمارس غالبًا من قبل الحلاقين والجزّارين، بزغ نجم الزهراوي في الأندلس ليعيد للجراحة اعتبارها، ويحولها من ممارسة تجريبية إلى علم مستقل قائم على الملاحظة والتشريح والتجريب، معتمدًا في منهجيته على التوفيق بين المعارف الإغريقية والرومانية والعربية.

لقد تميز الزهراوي عن غيره من الأطباء بجمعه بين عمق النظرية وسعة التجربة العملية، وكان نتاج ذلك كتابه الموسوعي الخالد "التصريف لمن عجز عن التأليف"، والذي يُعد من أوسع ما أُلّف في الطب الإسلامي، وخصوصًا في فنون الجراحة، وقد بلغت

دقته في هذا المجال حدًا جعله يُعدّ أول من صمّم أدوات جراحية متخصصة، ووصف عمليات بالغة الدقة في جراحة الرأس، والحلق، والجهاز البولي، والولادة، وغيرها، مما جعله يستحق بحق لقب "أبو الجراحة الحديثة"، وهو الوصف الذي أطلقه عليه مؤرخو الطب في الغرب.

على ضوء ما سبق سنحاول في هاته الورقة الإجابة عن الإشكالية التالية :

ما مدى إسهام أبي القاسم الزهراوي في تأسيس علم الجراحة في الحضارة الإسلامية، وما أثر ذلك على تطور هذا العلم في العالم الغربي المسيحي ؟

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسلط الضوء على شخصية طبية مركزية في تاريخ الطب الإسلامي، كان لها أثر بارز في تطوير الجراحة من ممارسة تقليدية تعتمد على التجربة العشوائية إلى علم قائم على التشريح، والتقنية، والملاحظة السريرية.

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم عرض شامل وموثق للسيرة الذاتية للزهراوي، متوقفة عند أبرز المحطات العلمية في حياته، ومحللة السياق الحضاري والطبي الذي نشأ فيه، ومسلطة الضوء على إسهاماته الجراحية الاستثنائية، التي ما زال أثرها باقي في الطب الحديث، كما تناقش الدراسة الإشكالات المتعلقة بنسبة بعض المؤلفات إليه، وتبين الدور المحوري الذي أدّاه كتاب "التصريف" في تأسيس منهج طبي تطبيقي متكامل في الحضارة الإسلامية، امتدت آثاره إلى العصور الأوروبية اللاحقة عبر الترجمات اللاتينية.

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، مدعومًا بمقاربة وصفية-تقنية، وذلك بتتبع مسار حياة الزهراوي، استنادًا إلى المصادر التراثية الرئيسة مثل: عيون الأنباء لابن أبي السيرة الذاتية للزهراوي .

1.التعريف بالزهراوي

الزهراوي، واسمه الكامل أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، يُعد من كبار مفكري الأندلس في القرن العاشر الميلادي، وقد اعتبره كلٌّ من الزركلي والحميدي واحدًا من أبرز المساهمين في الحضارة الإسلامية في مجال الجراحة، من خلال مؤلفه العظيم "التصريف لمن عجز عن التأليف"، الذي رُكز بالأساس على موضوعات الطب.

(Sharif Kaf al-Ghazal, 2007: p 3)

يُعد الزهراوي من أعلام الطب في الحضارة الإسلامية، وطبيبًا عربيًا مسلمًا برز في ميدان الجراحة، حتى لُقّب بأبي الجراحة الحديثة، ويُعتبر رائدًا لهذا التخصص في الأندلس خلال العصور الوسطى (الضي أحمد بن عميرة، 1962:ص 286). بزغ نجم الزهراوي في فترة كانت فيها أوروبا تعيش حالة من الانحطاط العلمي، عُرفت بـ"العصور المظلمة"، حيث كانت مهنة الجراحة تُمارس آنذاك على أيدي الحلاقين والجزارين، وقد استطاع الزهراوي أن يضع أسسًا علمية للجراحة، استندت إلى مزيج من المعارف الطبية اليونانية،

العلوم العقلية في الغرب الإسلامي وتأثيرها على العالم المسيحي
- مؤلف الطب " التصريف لمن عجز عن التأليف " للزهراوي نموذجاً -

والرومانية، والعربية، فأسهم بذلك في تقنين هذا العلم ورفعته إلى مصاف العلوم الطبية الدقيقة، كما حَلَفَ عدداً كبيراً من المؤلفات والاكتشافات التي لا تزال بعض أدواتها ومبادئها تُستخدم إلى يومنا هذا .

وُلد الزهراوي سنة 325هـ / 936م في مدينة الزهراء، إحدى ضواحي قرطبة بالأندلس. وينحدر نسبه من الأنصار، إذ أن والده، عباس الأنصاري، كان من بين أفراد الجيوش الإسلامية التي فتحت الأندلس، ثم استقر لاحقاً في مدينة الزهراء (نقلا عن : السجيري وحاج كولة، 2025: ص 3-4). لاحقاً انتقل الزهراوي إلى قرطبة، ونشأ في بيئة علمية راقية، خلال فترة بلغت فيها الحضارة الإسلامية أوج تطورها وازدهارها، حيث كانت قرطبة حينها تضم نحو خمسين مستشفى وأكثر من سبعين مكتبة، ومدارس تُعد من أرقى المؤسسات التعليمية عالمياً، مما جعلها قبلة لطلاب العلم من مختلف أنحاء العالم (بروكلمان كارل، د: ص 300-301).

تلقى الزهراوي علومه على يد كبار علماء الأندلس، وكان شديد التخصص في مجالات الجراحة، وطب الفم، والأسنان، كما التحق بالعمل في مستشفى قرطبة الذي أسسه الخليفة عبد الرحمن الناصر (الزهراوي أبو القاسم خلف بن عباس، 2003: ص 47)، وقد أثبت الزهراوي كفاءة لافتة في عمله، ما أهله ليصبح الطبيب الخاص للخليفة، فانتشرت شهرته في كافة أنحاء الأندلس، وامتدت لتصل إلى بلاد المشرق (الحميدي محمد، 2008: ص 301).

2.امتهانه الطب والجراحة

كان الزهراوي من أبرز أعلام الطب في الحضارة الإسلامية، وقد برع تحديداً في المجال الجراحي، حيث تخصص في علاج الأمراض باستخدام الكي (الحرق)، وهو الأسلوب العلاجي الشائع في عصره.

تميز الزهراوي بابتكاره للعديد من الأدوات الجراحية التي صُممت لفحص الأعضاء الداخلية، ولا سيما المجرى البولي، وكذلك لتفتيش الحلق والأذن، واستخراج الأجسام الغريبة منها ومن أعضاء أخرى في الجسم. ويُعد أول من رسم أنابيب طبية متنوعة الاستخدامات، كما كان السباق في معالجة النأليل باستخدام أنبوب معدني حديدي مملوء بمادة قلوية تعمل كأداة كي وحفر في آن واحد.

ورغم أن الزهراوي لم يُجرِ عملية شق الرغامى (Tracheotomy) بصيغتها المعروفة اليوم، إلا أنه وثّق حالة سريرية فريدة تُظهر قدرته الجراحية الفائقة، حيث عالَج فتاة عبدة حاولت الانتحار بقطع حلقها. وقد نجح في خياطة الجرح ومعالجته حتى تعافت الفتاة بالكامل، مثبتاً بذلك إمكانية التئام الجروح المفتوحة في الحنجرة، وقد وصف الحالة كما يلي:

"قامت فتاة عبدة بالإمساك بسكين ودفنته في حلقها فقطعت جزءاً من القصبة الهوائية، ودُعيت للتدخل، فوجدتها تصدح كالذبيحة التي قُطع حلقها، لذا كشفت عن الجرح، وتبين لي أن النزف كان يسيراً، ولم تُصب الشرايين أو الأوردة، وكان الهواء يمر من خلال الفتحة، فأغلقت الجرح على الفور وداويته حتى شُفيت. ولم تتعرض الفتاة لأي ضرر سوى خشونة بسيطة في الصوت، زالت لاحقاً، واستعادت عافيتها في غضون أيام".

وفي نطاق جراحة الأعصاب، يُعتبر الزهراوي من الرواد الأوائل، حيث كان له دور بارز في تشخيص وعلاج الأمراض العصبية باستخدام الوسائل الجراحية، فقد أجرى عمليات متقدمة نسبياً لإصابات الرأس، وكسور الجمجمة، وإصابات العمود الفقري، كما ناقش حالات ارتفاع الضغط داخل القحف، وتجمعات السوائل تحت السحايا، والصداع المزمن. ومن أبرز إسهاماته في هذا المجال، تقديمه أول وصف سريري لجراحة تصريف السوائل الدماغية عند الأطفال المصابين بالاستسقاء الدماغي (Hydrocephalus) (عبد اللطيف البدرى، 1976: ص 46)

ذكر ابن أبي أصيبعة في ترجمته للزهراوي:

"وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي... وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف" (ابن أبي أصيبعة، 1956، ص 6).

هذا القول قد يُوهم القارئ بأن للزهراوي كتابين مستقلين، وهو ما لا يصح؛ إذ إن الزهراوي لم يُؤلف سوى كتاب واحد هو "التصريف لمن عجز عن التأليف".

وقد قام عبد الحميد العلوجي بتحقيق ونشر كتاب بعنوان "تفسير الأكيال والأوزان"، ونسبه إلى الزهراوي، غير أن الراجح أن هذا الكتاب لا يُعد مؤلفاً مستقلاً، بل يُحتمل أن يكون جزءاً من الأبواب المفقودة في كتاب التصريف، وليس مؤلفاً آخر. (محمد العربي الخطابي، 1992، ص 217-218)

ويؤكد هذا الرأي أن الزهراوي لم يُؤلف من الكتب غير كتاب التصريف، وقد ذكر ابن عبدون - عرضاً - في عمدة /الطبيب كتاباً آخر للزهراوي سماه ترجمة العقاقير (ابن عبدون، د.س: ص 67)، وقد يكون المقصود به المقالة المتعلقة بالأدوية المفردة الواردة في كتاب التصريف، تحديداً: الباب الأول من المقالة التاسعة والعشرين".

وتظهر مراجعة الدراسات السابقة أنّ عدداً كبيراً من الأبحاث قد تناولت ارتباط الزهراوي بتطور الطب في أوروبا، ومن ذلك ما أبرزه شريف كاف الغزال الذي كشف بوضوح عن إسهام الزهراوي في النهضة الطبية الأوروبية، من خلال أثر مؤلفه /التصريف لمن عجز عن التأليف/، والذي غدّ مرجعاً أساسياً اعتمد عليه الجراح الفرنسي البارز غي دو

العلوم العقلية في الغرب الإسلامي وتأثيرها على العالم المسيحي
- مؤلف الطب " التصريف لمن عجز عن التأليف " للزهراوي نموذجاً -

شولياك (Guy de Chauliac) وقد أشار الغزال أيضاً إلى أنّ هذا الكتاب ساهم في تعزيز اهتمام الأوروبيين بالعلوم الطبية (Sharif Kaf al-Ghazal, 2003, P-P 37-38). وقد أسهم تعدد الترجمات اللاتينية لكتاب /التصريف، أو لبعض مقالاته، في انتشار الاعتقاد الخاطئ بأن للزهراوي مؤلفات متعددة، بينما الحقيقة أن تلك الترجمات كانت تمثل أجزاء من /التصريف نفسه، ومن الأسماء التي أطلقت على هذا العمل في اللاتينية خلال العصور الوسطى ما يلي:

● **Acaravius أو Alsaharavius:** وهما تحريف لاتيني لاسم الزهراوي، استُخدما أحياناً للإشارة إلى كتابه ذاته، وليس إلى شخصه فحسب. وقد أورد ابن أبي أصيبعة هذا اللبس في عيون الأنباء كما سبق وتم ذكره، وتجدر الإشارة إلى أن المقالة الثلاثين المتعلقة بالجراحة اشتهرت باللاتينية باسم *Albulcasae de Chirurgia*، كما أُطلق عليها عنوان *Libri Tres*، أي "كتب الزهراوي الثلاثة في الجراحة". وذلك لأن اسم المؤلف عُرف في الأوساط اللاتينية بصيغة *Abucasis* أو *Abulcasis*، وهي تحوير صوتي لاتيني للكنية العربية "أبو القاسم".

● **Liber Servitoris:** وهي ترجمة تقريبية للعنوان العربي "كتاب /التصريف"، إلا أن هذه التسمية اللاتينية لم تكن تُطلق إلا على المقالة الثامنة والعشرين فقط، والتي تتعلق بتحضير الأدوية وإصلاحها. وبغض النظر عن تلك الترجمات والتسميات، فإن الكتاب الوحيد الذي ألفه الزهراوي ووصل إلينا كاملاً هو كتابه الموسوعي: /التصريف لمن عجز عن التأليف، وقد وقع بعض اللبس في فهم مدلول هذا العنوان، غير أن الرجوع إلى مقدمة المؤلف يزيل هذا الغموض، حيث يقول الزهراوي:

"وسميت بكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وإنما سميت بذلك لكثرة تصرفه بين يدي الطبيب وكثرة حاجته إليه في كل الأوقات، وليجد فيه من جميع الصفات ما يغنيه عن التأليف" (الزهراوي، 1935: مقدمة المؤلف).

ومنه يتضح أن الزهراوي قصد أن يكون هذا الكتاب مرجعاً شاملاً، مُيسراً، موجهاً بالدرجة الأولى لطلبة الطب وأبنائه، يُمكنهم الرجوع إليه عند الحاجة، واستمداد ما شاءوا من وصفات الأدوية وأساليب المعالجة.

3. كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف

1.3. دوافع تأليف الكتاب

لقد مثل كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" للزهراوي حصيداً تراكمية لسنوات طويلة من الاطلاع الواسع على المؤلفات الطبية، مقرونة بالملاحظة الدقيقة والبحث العلمي الجاد، إضافة إلى الخبرة العملية في ميادين الطب والجراحة، وقد تولدت لدى الزهراوي الرغبة في تأليف هذا العمل بعد أن أدرك بوضوح أن إتقان الجراح لمهاراته يشكل عنصراً أساسياً في إنقاذ حياة المرضى وضمان استمراريتها، ومن هنا جاءت مبادرته لإعداد مصنف طبي يسد حاجة المجتمع، خاصة في ظل النظرة الدونية التي كانت تحيط آنذاك بمجال الجراحة مقارنة بغيره من فروع الطب، كما أن قلة الأطباء المتمكنين من المهارات الجراحية في الأندلس، إلى جانب بوادر اندثار هذا العلم، شكلاً بدورهما حافزاً إضافياً دفع الزهراوي إلى وضع هذا المرجع البارز الذي رسّخ مكانته في تاريخ الطب .

(Spink, Martin Spencer, & Lewis, George Lewis,1973:p2)
في ذلك العصر، كانت المراجع الطبية المتوفرة قليلة، وما وُجد منها لم يخلُ من الأخطاء التي غالباً ظهرت أثناء عملية النسخ. لهذا السبب، حرص الزهراوي على تصحيح تلك الثغرات عبر مؤلفه الذي استغرق إنجازهُ سنوات طويلة حتى اكتمل عام 1000م، أي قبل وفاته بثلاثة عشر عاماً، وتضمن موضوعات صحية متنوعة.

(Shabir Ahmad Bhat, Aysha Raza, Paras Wani, and Shahbuddin 2015: p 1189).

وقد ذكر حمرة وسونيدكر أنّ الزهراوي أمضى ما يزيد عن أربعين عاماً في إعداد هذا العمل الضخم، مدققاً في كل معلومة ناتجة عن ممارسته وخبرته العملية، حتى يضمن صحتها ودقتها بعيداً عن الأخطاء الشائعة في المراجع السابقة. (Sami Khalaf Hamarneh and George Sonnedeker ,1963:pp. 40–41).
ويبرز اهتمامه بعلاج الكيّ مثلاً على ذلك، إذ شدّد على ضرورة الممارسة الطويلة والتدريب المستمر ليتمكن الطبيب الجراح من إتقان هذا الأسلوب العلاجي، واللافت أنّه لم يكتفِ بالتنظير، بل خصّص سنوات من تجربته العملية لإتقان الكيّ قبل أن يدوّن نتائجه في مؤلفه الكبير (Iqra Butt,2017:P38).

ذكر الزهراوي أنه ألّف هذا الكتاب كما سبق وتم الإشارة إليه، وأعطاه اسم التصريف حتى يجعله بين يد الأطباء يتصرفون بها فيه عند حاجتهم ويقول في هذا الشأن: "وهذا كتاب ألّفته لكم، وجعلته مقصوداً عليكم، ولم أعد به إلى سواكم، عظيم الفائدة، قريب المنفعة، وسَمّيته كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وذلك لكثرة تصريفه بين يدي الطبيب، وكثرة حاجة إليه في كل الأوقات، ولجد فيه من جميع الصفات ما يعينه عن التأليف. فضمّنت فيه هذا كل ما جرّبته، واستحسنته في طول عمري منذ 60 سنة" (محمود

قاسم، 2025)

2.3. أبرز محتويات كتاب التصريف المؤثرة في العالم المسيحي :

● المقالة الأولى :

بعد مقدمة موجزة للكتاب، شرع الزهراوي في عرض أساسيات علم الطب، مُحدِّدًا مفهومه وقسمي المعرفة الطبية: العلوم النظرية (مثل الأسباب والدلائل والأمزجة) والعلوم التطبيقية (مثل التشريح ووظائف الأعضاء والمهارات اليدوية). وتناول كذلك بالتفصيل تشريح جميع أعضاء الجسم، ووصف وظائفها، وخصائص الأدوية ومنافعها، وكذلك الأمراض الآلية، أسبابها، علامات الإنذار المبكر، وأهمية النبض كوسيلة تشخيصية.

● المقالة الثانية:

تناولت تقاسيم الأمراض وأعراضها، مع إشارات إلى طرق العلاج، كما خُصِّص جزء مهم منها لأمراض النساء والتوليد، بما في ذلك علامات الحمل، الوضع الطبيعي للجنين، إجراءات التوليد، الرضاعة، التوقيت المناسب لطفام الطفل، وتطور بنيته الجسدية من الطفولة إلى الصبا.

● المقالات من الثالثة إلى السابعة والعشرين:

- غطت مجموعة واسعة من التحضيرات الصيدلانية والعلاجية، شملت:
 - المعاجين، الترياقات، الحبوب.
 - الأدوية المسهلة، المقيئة، الحقن.
 - العلاجات القلبية والمعدية، وأدوية تقوية القدرة الجنسية، التسمين والتخسيس.
 - المستحضرات الغذائية مثل الأشربة والمربيات.
 - الأدوية الموضعية: السفوفات، الأقراص، السعوطات، القطورات، الذرورات، الغراغر.
 - مستحضرات التجميل والعناية بالبشرة (الزينة، الأكحال، اللطوخت).
 - أمراض الفم، الصدر، وتحضير الضمادات والمراهم.
 - النظام الغذائي للمرضى والأصحاء، وخواص الأدوية وإصلاحها. (الخطابي، 1988، ص 124)

المقالة الثامنة والعشرون:

ركزت على إصلاح الأدوية المفردة والمركبة، سواء كانت من أصل معدني، نباتي، أو حيواني.

كما تناولت تقنيات معالجة الأحجار المعدنية المستخدمة في الطب. وتعدّ هذه المقالة، بشهادة المؤرخين، من أرقى الأعمال التي ألفت في الأندلس في علم الأدوية. وتميزت هذه المقالة أيضًا بوصف دقيق لآلية صناعة الأقراص الطبية باستخدام قوالب من العاج أو الأبنوس، يُنقش عليها اسم الدواء بطريقة معكوسة، لتُطبع على القرص بشكل سليم، ويُعدّ هذا ابتكارًا رائدًا في مجال صناعة الأدوية والطباعة الدوائية. (الحمارنة، 1989: ص 356)

المقالة التاسعة والعشرون:

تُعدّ معجمًا دوائيًا متعدد اللغات، يضم أسماء العقاقير باللغات: اليونانية، السريانية، اللاتينية، الإسبانية، البربرية، مرتبة حسب الحروف الأبجدية، كما تناول بدائل العقاقير عند تعذر توفرها، ومدة صلاحيتها، مع شرح دقيق للأوزان والمقاييس الطبية القديمة.

المقالة الثلاثون والأخيرة (الأشهر):

تناول العمل الجراحي التطبيقي، وتُعرف بـ "العمل باليد"، وتحتوي على أكثر من مئة رسم تشريحي لجراحات وأدوات طبية بدقة عالية. أشار الزهراوي إلى أن قلة الممارسة الجراحية في عصره دفعته لتأليف هذه المقالة، محاولاً إحياء علم يكاد يندثر.

3.3. المبادئ العامة التي استنبطها الزهراوي في "التصريف":

- الجانب النفسي للمريض جزء مهم من العلاج إذ أن الراحة النفسية، وتلبية رغبات المريض، والتفاؤل، أمور تساهم في دعم قوة الحياة.
- أهمية المراقبة والمراقبة السريرية، إذ يرى أن حسن استجواب المريض وملازمة حالته، تعادل في أهميتها المعارف النظرية.
- نقد للخلط المعرفي: حيث يُحذّر من التشتت العلمي دون إتقان أساسيات أي فن أو علم.

- الدعوة إلى التواضع والخدمة الإنسانية: خاصة عند التعامل مع الفقراء والضعفاء.
- أصالة فكرة "الوضع التريندلبورغي" الجراحي: حيث أوصى الزهراوي برفع الجوف والأطراف السفلية في الجراحات، وهو ما نُسب لاحقًا إلى الطبيب الألماني فريدريك تريندلبورغ. (حمارنة: ص 446)

4.3. شروط الزهراوي قبل الشروع في العمليات الجراحية:

- التحذير من فقدان الدم: ففتح العروق أو شق الأورام يهدد الحياة.

- أهمية التشخيص الدقيق: لأن الجهل بالحالة قد يؤدي إلى هلاك المريض. (حمارنة:ص 346)
- رفض إجراء العمليات اليائسة: لا يجوز التدخل في حالات لا يُرجى منها شفاء.
- الحذر من التهور: إذ أورد مثلاً عن طبيب أهمل تقدير حجم الحصاة، فأودى بحياة المريض.
- التحرر من الطمع الهادي: فالأولوية هي صحة المريض وليس المكسب. (هونكة سيفريد، 1964: ص 378)

4. تأثير العالم المسيحي بمؤلفات الزهراوي في الطب

كانت الفروقات بين المعاملة الإنسانية في الطب الإسلامي والأوروبي في العصور الوسطى جلية وواضحة، ففي الوقت الذي كان فيه الأطباء المسلمون يتعاملون مع المرضى بعاطفة إنسانية، كان الأوروبيون يعاملون المرضى وكأنهم مجرد عبء على المجتمع، وكان العلاج في أوروبا يتم في ظل ظروف قاسية للغاية، حيث يتم عزل المرضى في أماكن غير آدمية، بل ويُعتبرون في كثير من الأحيان سبباً في انتشار الأمراض والأسقام، أما في العالم الإسلامي، فقد كانت المعاملة الإنسانية جزءاً لا يتجزأ من ممارسة الطب، حيث كان الأطباء المسلمون يعاملون المرضى بكل عناية واهتمام، معتبرين أن الشفاء لا يتطلب فقط العلاج الطبي، بل أيضاً الرعاية النفسية والعاطفية.

أحد أبرز الأمثلة على ذلك هو التعامل مع مرضى الجذام في العالم الإسلامي مقارنة بما كان عليه الحال في أوروبا، ففي حين كانت الكنيسة في أوروبا تقرض العزلة القسرية على مرضى الجذام وتمنعهم من ممارسة حياتهم الطبيعية، كانت الممارسات الطبية الإسلامية أكثر تطوراً، حيث كان يتم الاهتمام بهم علمياً وعلاجياً مع المحافظة على حقوقهم الإنسانية، وقد كانوا يتهمون المرضى بأنهم المسؤولون عن انتشار الطاعون في تلك الفترة، على عكس الأوروبيين الذين ألصقوا هذا الوباء بالأقليات اليهودية، مما أدى إلى حدوث مجازر بحقهم، وفي سويسرا، تم تصوير الطاعون عقاب من الله لعباده، مما أضفى على المرض طابعاً دينياً وتخويفاً بعيداً عن الجانب العلمي.

في المقابل، قدم الزهراوي في كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" مثلاً حياً على تميز الطب الإسلامي في التوجهات العلمية والإنسانية، فقد تناول هذا الكتاب، الذي ترجم إلى اللاتينية في أوروبا، العديد من الأساليب الجراحية المتقدمة، خاصة في مجالات مثل الجراحة التجميلية وعلاج العيون، إذ يعد الزهراوي من الأوائل الذين طوروا تقنيات علاجية مثل استخراج الحصوات من المثانة، وجراحة شق القصبه الهوائية، وعلاج الشلل الناتج عن كسور النخاع الشوكي، كما اهتم الزهراوي كذلك بتقديم أولى دراسات علم

التشريح، والتي كانت في مقدمة المعارف الطبية في العصور الوسطى، وجعلها أساساً للتطوير اللاحق في الطب الغربي. (عصمت عبد اللطيف شدهن، 1988:ص441) ويجب الإشارة إلى أن مؤلفات الزهراوي تعتبر مرجعاً أساسياً لأطباء أوروبا في العصور الوسطى، حيث تبنى الأطباء الغربيون أساليب الزهراوي في علاج العديد من الأمراض، خاصة تلك المتعلقة بالكبد والعينين والجراحة التجميلية.

كما يشير حسن حائق فإن الغرب قد أخذ عن الزهراوي الكثير من الأساليب الجراحية المتطورة، بما في ذلك تقنيات استخراج الحصوات، وعلاج التشوهات، وكذلك فكرة ربط الشرايين لتوقف النزيف، وتعد هذه الممارسات، التي أخذها الأطباء الغربيون عن الزهراوي، حجر الزاوية للكثير من العمليات الجراحية الحديثة.

إذن، يمكن القول أن التأثير الكبير للزهراوي على الطب الغربي لم يكن محصوراً في الأساليب الجراحية فحسب، بل امتد ليشمل جوانب أخرى مثل التشريح وعلاج الأمراض المستعصية، وعليه، فإن التصريف لمن عجز عن التأليف يعد من أهم الأعمال التي أسهمت في نقل المعرفة الطبية الإسلامية إلى الغرب، مما ساهم في تطور الطب في أوروبا والعالم بشكل عام. (حسن حائق، 1986:ص289)

وهنا سنلخص أهم الجوانب التي تأثرت فيها أوروبا بتقنيات الزهراوي الطبية والتي ذكرها في كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف"، والتي ذكرتها مختلف الأدبيات السابقة والتي تم الاستناد إليها في هاته الدراسة والتي تتمثل في:

-الجراحة الطبية:

- الزهراوي قدم العديد من الأساليب الجراحية التي كانت مبتكرة في عصره وأثرت بشكل كبير على الطب الغربي، مثل استخراج الحصوات من المثانة، وشق القصبه الهوائية .
- بعد ترجمة أعماله إلى اللاتينية، تبنى الأطباء الأوروبيون هذه التقنيات، والتي أصبحت جزءاً من الممارسات الطبية الأساسية في أوروبا.
- قدم الزهراوي تقنيات لمعالجة تشوهات الفم والفك، كما كان من الأوائل الذين عملوا على الجراحة التجميلية بشكل منظم، وهذه الأساليب أثرت على تطور الجراحة التجميلية في أوروبا لاحقاً.

-علم التشريح:

- الزهراوي كان من أوائل العلماء الذين عملوا على تطوير علم التشريح بشكل دقيق، حيث قام بتقديم دراسة مفصلة للأعضاء البشرية، وهو ما ساعد الأطباء الغربيين على فهم أفضل لأجزاء الجسم البشرية، وقد كانت أعماله مرجعاً أساسياً في أوروبا.

العلوم العقلية في الغرب الإسلامي وتأثيرها على العالم المسيحي
-مؤلف الطب " التصريف لمن عجز عن التأليف " للزهراوي نموذجاً-

-الأدوات الجراحية:

- ابتكر الزهراوي أدوات جراحية جديدة، مثل المشروط والملقط، والأدوات المساعدة في الجراحة. بعد ترجمة أعماله، استخدم الأطباء الأوروبيون هذه الأدوات في جراحاتهم، مما ساهم في تطوير الأدوات الجراحية في الطب الغربي.
- #### -تقنيات ربط الأوعية الدموية:

- الزهراوي كان من العلماء الأوائل الذين قدموا تقنيات ربط الأوعية الدموية أثناء العمليات الجراحية لتقليل النزيف، وهي تقنية تُعتبر من أهم أسس الجراحة الحديثة.

-العلاج الجراحي للكسور:

- الزهراوي قدم تقنيات لمعالجة الكسور، بما في ذلك طرق تثبيت العظام المكسورة وتخفيف الألم أثناء الجراحة، وكانت هذه الطرق متقدمة مقارنة بما كان مستخدماً في أوروبا في تلك الفترة.

-علاج الجروح والالتهابات:

- كان الزهراوي قد أشار إلى تقنيات علاج الجروح والتعامل مع الالتهابات من خلال التطهير والتعقيم، وهي تقنيات كانت جديدة بالنسبة للأطباء الأوروبيين في العصور الوسطى.

-علاج أمراض العيون:

- قدم الزهراوي طرقاً لعلاج أمراض العيون، مثل الجراحة لعلاج المياه البيضاء (الساد)، وأصبح أطباء أوروبا يعتمدون على هذه الأساليب في علاج مشاكل العيون.

الخاتمة

لقد شكّل أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي علامة فارقة في تاريخ الطب الإسلامي والإنساني، وذلك بما قدمه من إسهامات رائدة في مجال الجراحة، جعلته بحق مؤسساً لهذا التخصص في العصور الوسطى، ليس في العالم الإسلامي فحسب، بل أيضاً في أوروبا التي استفادت من ترجمات أعماله، وخصوصاً كتابه الموسوعي "التصريف لمن عجز عن التأليف".

ومن خلال هذه الدراسة التي تتبعت السيرة الذاتية للزهراوي، في ضوء معطيات تاريخية ونصية محققة، أمكن التوصل إلى مجموعة من النتائج التي تمثلت فيما يلي:

- تبين أن كتاب /التصريف هو المؤلف الوحيد الذي تركه الزهراوي، وأن جميع الأجزاء المنسوبة إليه، بما فيها "ترجمة العقاقير" أو "تفسير الأكيال"، ليست إلامقالات ضمنية ضمن فصول هذا المؤلف الكبير.
 - ثبت بالدليل النصي أن الزهراوي سبق عصره في العديد من الإجراءات الجراحية، ووصف حالات سريرية تُعدّ نادرة ومتقدمة من حيث التشخيص والعلاج، منها تدخلاته في الجروح العميقة، والكلي، وعلاج انسدادات مجرى البول، وجراحات الفم والحنجرة.
 - كان الزهراوي أول من رسم أكثر من مئة أداة جراحية، وشرح طريقة استعمالها، وهو ما يُعتبر اللبنة الأولى في ما يُعرف اليوم بـ"الجراحة القائمة على الأجهزة".
 - ساهمت الترجمات اللاتينية لكتاب /التصريف، ولا سيما المقالة الثلاثين، في إدراج معارف الزهراوي ضمن المناهج الطبية الأوروبية لعدة قرون، وقد عُرف اسمه في الغرب بصيغ مثل *Albucasis* و *Abulcasis*.
 - أكدت الدراسة حضور الجانب الإنساني والأخلاقي في ممارسة الزهراوي للطب، من خلال وصاياه لطلبته بعدم الجشع، وتحري الدقة، والتواضع في التعامل مع المرضى، خاصة الفقراء. ولكي نختم هاته الدراسة نوصي بما يلي :
 - تدعو الدراسة إلى إنجاز تحقيق علمي دقيق لمخطوطات الكتاب بكامل مقالاته الثلاثين، وفق مناهج علم المخطوطات الحديثة، مع ترقيم الرسوم التوضيحية وتفسيرها تقنيًا.
 - إنشاء قاعدة بيانات رقمية لتراث الزهراوي، تشمل مؤلفاته، أدواته الجراحية، الشروح اللاتينية، والإحالات إليها في مصادر الطب الأوروبي، لتكون مرجعًا للباحثين والمؤرخين.
- قائمة المراجع:
- المراجع العربية
- ابن أبي أصيبعة. (1979). عيون الأنباء في طبقات الأطباء. ج.3. بيروت: د.ن.
 - ابن عبدون. (د.ت)، عمدة الطبيب. الرباط.
 - بروكلمان. كارل. (د.ت). تاريخ الأدب العربي. ترجمة عبد الحليم النجار. القاهرة: دار المعارف، ط4.

العلوم العقلية في الغرب الإسلامي وتأثيرها على العالم المسيحي
- مؤلف الطب " التصريف لمن عجز عن التأليف " للزهراوي نموذجاً -

- حسن حائق . (1986). العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى . بيروت: الدار الوطنية للطباعة والنشر.
 - حبارنة. سامي خلف . (1989) تاريخ العلوم الطبية عند العرب والمسلمين . عمان: جامعة اليرموك ، مج 1.
 - الحميدي. محمد بن فتوح بن عبد الله. (2008) . جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس . تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد. تونس: دار الغرب الإسلامي ، ط 1، ج 1.
 - الخطابي. محمد العربي . (1988) الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية . بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ط 1، ج 1.
 - الزهراوي. أبو القاسم خلف بن عباس. (2003) . التصريف لمن عجز عن التأليف (المقالة الثلاثون من الموسوعة الطبية). تحقيق عبد العزيز ناصر الناصر وعلي سليمان التويجري. الرياض: د.د.ن ، ط 3.
 - الزهراوي ، أبو القاسم خلف بن عباس ، التصريف لمن عجز عن التأليف . مقدمة المؤلف .
 - السحيري. حاج كولة (2025). أصول الطب الحديث في منجزات الطب الأندلسي: أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي. مجلة البحوث والدراسات العلمية. مج 19، عدد 1.
 - الضبي. أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة . (1962) بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس . ط 1. القاهرة: دار الكاتب العربي.
 - عبد اللطيف البدري. (2025). نداء البدري . «الموقع الإلكتروني : <https://www.nidaulhind.com/2024/01/Abu-Al-Qasim-Al-Zahrawi-the-greatest-surgeon.html> تم الاطلاع عليه بتاريخ 2 أبريل 2025.
 - عصمت عبد اللطيف شدهن . (1988) الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين . بيروت: دار الغرب الإسلامي.
 - محمود قاسم . (2025). بمناسبة ذكرى ألفية وفاته.. الزهراوي (حياته ومؤلفاته). موقع ألوكة : <https://www.alukah.net/culture/0> تم الاطلاع عليه بتاريخ 1 أبريل 2025.
 - هونكة ، سيفريد . (1964) شمس العرب تسطع على الغرب . ترجمة فاروق سعيد بيضون وكمال دسوقي. بيروت: دار العالم العربي. ط 1.
- المراجع الأجنبية:

- Ahmad Bhat, Shabir, Raza, Aysha, Wani, Paras & Shahbuddin. (2015). "Contribution of Al Zahrawi in Gynecology and Obstetrics." World Journal of Pharmaceutical Research, Vol. 4, No. 3.
- Butt, Iqra. (2017). "Brief Introduction of Az-Zahrawi's Contributions in Science." International Journal of Pathology, Vol. 15, No. 1.
- Hamarneh, Sami Khalaf & Sonnedecker, George. (1963). A Pharmaceutical View of Abulcasis al-Zahrawi in Moorish Spain with Special Reference to the 'Adhan'. Leiden: E. J. Brill.

- Kaf al-Ghazal, Sharif. (2003). "Al-Zahrawi (Albucasis) – A Light in the Dark Middle Ages in Europe." Journal of the International Society for the History of Islamic Medicine, Vol. 1.
- Kaf al-Ghazal, Sharif. (2007). "Al-Zahrawi (Albucasis) the Great Andalusian Surgeon." Foundation for Science, Technology and Civilisation.
- Manaf, Fadlurrahman. (2025). "Abulcasis, the Pharmacist Surgeon." A Journal of Medical Humanities. Retrieved from: <http://smallbusiness-solution.com/hekint/abulcasis-the-pharmacist-surgeon/> (Accessed March 20, 2025).
- Spink, Martin Spencer & Lewis, George Lewis. (1973). Albucasis on Surgery and Instruments. California: University of California Press.